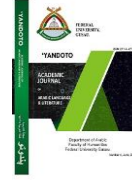


'Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature

ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)
<https://easpublisher.com/journal/yandoto/home>



قضية التأثير والتأثر في اتجاهي التاريخ والجدل للأدب المقارن

إعداد:

شريف الدين أبو بوبكر، عبد الله محمد الثاني

الملخص:

هذه المقالة بعنوان: "قضية التأثير والتأثر في اتجاهي التاريخ والجدل للأدب المقارن" هدفت إلى إبراز هذا الفن الجديد من فنون الأدب الحديث، كذلك إظهار الجدل بين الأدباء للأدب المقارن. لأن الأدب المقارن هو النوع الجديد من دراسات الآداب والفنون خارج الحدود الجغرافية واللغوية والسياسية والثقافية. وقد انتبه إليه العلماء والنقاد والأدباء في بدايات القرن العشرين. وطبقا لتطورات الدراسات النظرية والتطبيقية في هذا المجال الجديد، ظهرت فيه نظريات واتجاهات مختلفة. فأهمها اتسام هذا النوع الجديد من دراسة الأدب بالمنهج التاريخي، فاتهم بدراسة الأدب من المنظور التاريخي، ودارت هذه الدراسات في أول الأمر حول الأدب القومي.

ABSTRACT

This article entitled: "The issue of influence and influence in the two directions of history and controversy of comparative literature" aimed to highlight this new art of modern literature, as well as to show the controversy among writers of comparative literature. Because comparative literature is the new type of literature and arts studies outside geographical, linguistic, political and cultural boundaries. Scholars, critics and writers have paid attention to it in the early twentieth century. According to the developments of theoretical and applied studies in this new field, different theories and trends have emerged. The most important of them is that this new type of literature study is characterized by the historical method, so they were accused of studying literature from the historical perspective, and these studies revolved in the first place around national literature.

المقدمة:

انشغل العصر الحديث للأدب والفن بمناقشات ومدخلات ومعارضات حول النوع الجديد لدراسة الأدب بعض النظر إلى قوميته ولغته، وهذا النوع الجديد يعرف بالأدب المقارن. وقد ظهر هذا الاتجاه المقارني في ظروف سياسية وثقافية متأثرة بالعمولة والانفتاحية في العالم الراهن. وقد تغيرت الأوضاع الثقافية والأدبية في عصر العمولة، فبدأت الآداب القومية واللغوية تتبادل وتتجاوز مع آداب قومية أخرى. وفي ظل هذه الأوضاع أخذ الأدباء والنقاد يتناولون في دراساتهم الأدب المقارن والأدب العالمي^١ وعالمية الأدب^٢.

أما الأدب المقارن، فقد ورد له عديد من التعريفات، ومن أهمها:

- ١- دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب الخارجة عن نطاق اللغة القومية التي كتبها^٣
- ٢- العلم الذي يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاته المختلفة، وصلاته الكثيرة المعقدة، في حاضرها أو في ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر^٤
- ٣- الأدب المقارن وصف تحليلي، ومقارنة منهجية تفاضلية، وتفسير مركب للظاهرة اللغوية الثقافية، من خلال التاريخ والنقد والفلسفة، وذلك من أجل فهم أفضل للأدب، بوصفه وظيفة تميز العقل البشري^٥
- ٤- علم الأدب المقارن هو علم يدرس تطور الآداب القومية في إطار الأدب العالمي الذي يوحد الشرق والغرب، وهو ينطلق من وحدة السياق التاريخي لتطور آداب الشعوب، ومن حقيقة التفاعل الثقافي المستمر بين هذه الشعوب^٦.

القراءة خلال سطور هذه التعريفات تُبرز وجهات النظر المختلفة نحو الأدب المقارن لأصحابها، نلاحظ فيها ملامح القومية والعالمية أو القومية والإنسانية. ووفقاً لهذه الوجهات والفلسفات المختلفة ظهرت في مجال الأدب المقارن نظريات واتجاهات مختلفة تمام الاختلاف في نظرتها نحو الأدب. فالأدباء المقارنون الأولون يُفضلون الآداب القومية ويدرسون هذه الآداب بوجهة نظر تاريخي ومنظور التأثر والتأثير، ثم جاء الأدباء والنقاد الذين يتجهون إلى الأدب بوجهة عالمية إنسانية.

والمفهوم القديم والذي لا يزال سائداً في العالم العربي ينظر إلى الأدب المقارن بصفته علماً يدرس ظواهر التأثير والتأثر بين الآداب القومية. وأما المفهوم الجديد فهو يرى في الأدب المقارن نوعاً من الدراسات الأدبية والنقدية يتجاوز بحوث التأثير والتأثر دون أن ينعيها أو يلغيتها، ويتفاعل مع المذاهب النقدية الحديثة والمعاصرة كالنقد الجديد والنقد الجدلي ونظرية التلقي ونظرية التناص.

الاتجاهات المختلفة في الأدب المقارن:

قد ظهرت في مجال الأدب المقارن حتى الآن اتجاهات ومدارس ونظريات مختلفة نتيجة لتطور الدراسات النقدية في هذا المجال، واختلاف الفلسفات التي ظهرت في مجال الفن والأدب، واختلاف النظريات السياسية العالمية. ومن هذه الاتجاهات: الاتجاه التاريخي الذي يعتمد على الفلسفة الوضعية^٦ والذي يتجه إلى دراسة الأدب في منظور التأثير والتأثير، والمدرسة التي يتابع أصحابها هذا الاتجاه تعرف بالمدرسة الفرنسية. والاتجاه الثاني في الأدب المقارن هو الاتجاه النقدي "النقد الجديد"^٧ (New Criticism) الذي يعتمد على المبدأ الأخلاقي والثقافي^٨ ويهتم بدراسة الأدب والفن من جانب جوهرهما الفني والجمالي^٩، وهذا الاتجاه يعرف بالمدرسة الأمريكية. أما الاتجاه الذي يعارض هذين الاتجاهين فهو الاتجاه الماركسي أو الجدلي^{١٠} الذي يقوم على الفلسفة المادية الجدلية، والذي ينظر إلى الأدب في منظور عالمي، ويركز باستمرار على الجوانب الإنسانية العامة المشتركة بين الشعوب. وهذا الاتجاه يعرف بالمدرسة السلافية أو الماركسية أو الجدلية أو الديالكتيكية^{١١}. ومن النظريات النقدية الأدبية الحديثة التي أثرت في اتجاهات الأدب المقارن نظرية التلقي ونظرية التناص (intertextuality)، وهذه الأخيرة حلت تدريجياً محل اتجاه التأثير والتأثير^{١٢}.

قضية التأثير والتأثير في الاتجاه التاريخي (المدرسة الفرنسية):

الاتجاه التاريخي هو أول اتجاه في مجال الأدب المقارن، وهو ذو طبيعة تاريخية في دراسة العلاقات بين آداب وأخرى. وهذا الاتجاه يتخذ دراسة التأثير والتأثير بين أدب قومي معين وأدب قومي آخر أو مجموعة من الآداب القومية الأخرى من أهم أغراضها. والهدف الذي يسعون إلى تحقيقه هو استقصاء ظواهر التأثير والتأثير بين الآداب القومية. وهذا الاتجاه يعرف بالمدرسة الفرنسية التقليدية، لأن هذا الاتجاه ظهر وانتشر أولاً في فرنسا، ثم في الدول الأوروبية. ويظهر أن فرنسا كانت مهياً أكثر من غيرها لاستقبال هذا الدرس المقارن، في إطار علاقات الأسباب والمسببات التاريخية، أي أن علاقات القوى بينها وبين باقي الآداب، لعبت دوراً أساسياً في بلورة شكل مدرسي، يستلهم مقوماته داخل مفهوم التميز والأمجاد التاريخية^{١٣}.

واتجاه هذه المدرسة يقوم أولاً وأخيراً على الفلسفة الوضعية. فيرى أصحاب هذه المدرسة: "أنّ تأريخ الأدب هو - وفي جزء كبير منه - تأريخ مصادر ومواضيع ومواد أدبية تنتقل داخل الأدب القومي وبين الآداب القومية بصورة يمكن دراستها وتتبعها بالوثائق. فالدراسة المقارنة لتلك الآداب تدلّ على وجود علاقات تأثير وتأثر بينها على أساس من السببية الصارمة. إنّ انتقال مادّة أدبية من أدب قومي إلى أدب قومي آخر ليس مسألة عشوائية، بل هو علاقة تاريخية قائمة على السببية، وهذا ما على الأدب المقارن أن يبرهن عليه بصورة لا تقبل الجدل، أي أن يبيّن مصدر التأثير وواسطته ونتائجه^{١٤}.

الدراسة المقارنة:

إنّ الأدب المقارن الذي اتخذ دراسة التأثير والتأثر، يكتفي بتاريخ العلاقات الخارجية للأدب، ولا يتطرق إلى الجوانب والأبعاد الجمالية الذوقية: فهو لا يحللها ولا يقيّمها، وجرّ ما يفعله بشأنها هو أن يبيّن العلاقات الخارجية والوسائط والمؤثرات المرتبطة بها. أمّا الأمور الجمالية والفنية فيترك الأدب المقارن التقليدي التعامل معها للنقد الأدبي، الذي يعدّه المعنيّ الأوّل والأخير بالأبعاد الداخلية للأدب، فذلك هو مجال اختصاصه. فمنهجية الأدب المقارن منهجية تاريخية تجريبية، تتمثل في جمع الوثائق والأدلة والوسائط وكلّ ما يبرهن بصورة ملموسة ويقينية على وجود علاقات تأثير وتأثر بين أدبين قوميين أو أكثر.

فدراسة التأثير والتأثر هي العماد الوحيد في دراسة الأدب المقارن للمدرسة الفرنسية التقليدية، وهذه الدراسة اعتمدت بصورتها الشاملة على الأدلة التاريخية لوجود العلاقات بين الأمم المختلفة جغرافياً وثقافياً وسياسياً، وعلى الأدلة الصارمة التي تقول عن ملامح وإشارات تأثر أدب قومي ما بأدب قومي آخر، أو ظواهر تأثر هذا الأدب القومي بذلك الأدب القومي الآخر. ومن المقرر أنه "قد سدت هذه الدراسة للأدب فجوة في كتاب تاريخ الأدب القومي، التي خلفها التأريخ الذي انحصر داخل الأدب القومي بدون النظر إلى الامتدادات والأبعاد الخارجية التي تتجاوز الحدود اللغوية والقومية للأدب"^{١٦}. فلا بد أن يجعل من الاعتبار في دراسة الأدب ما يقع ويحدث وينتج في الآداب القومية الأخرى، وأن يلاحظ مدى ما أثرت هذه الوقائع والتطورات في أدب قومي ذاتي.

ومما ينتبه الباحثان هو أنّ دراسات التأثير والتأثر قد برهنت على بطلان مقولة - الاكتفاء الذاتي - للآداب القومية واستقلالية تلك الآداب وتفردها. فليس هنا كأدب قومي لم يتأثر بالآداب القومية الأخرى بصورة من الصور. كذلك فإن لأصالة الأدب القومي وخصوصيته وتفرده حدوداً. فقد دلّت دراسات التأثير والتأثر على أنّ هذه الأمور نسبية، وأن الآداب في حالة تفاعل وتبادل، وأخذ وعطاء، واستيراد وتصدير. وبذلك شكّلت دراسات التأثير والتأثر رداً على دعاة التعصب القومي في الأدب الذين يزعمون أن أدبهم أصيل بصورة مطلقة، وخالٍ من المؤثرات الغريبة.

أما ما يؤخذ على هذا الاتجاه التاريخي في دراسة الأدب المقارن، أنه اعتبر دراسة التأثير والتأثر هي الكل، واتخذ المنهج التاريخي وحده، ولم يهتم بالمنهج النقدي في دراسته للأدب، واستبعد دراسة الجوانب الجمالية والذوقية للأدب. "لقد حوّل التوجّه التاريخي الوضعي عالم الأدب المقارن إلى مؤرخ بالمعنى الصارم الضيق للكلمة، أي إلى شخص يجمع الوثائق والمصادر والمنابع والوسائط المرتبطة بالعلاقات الخارجية

للآداب، ومنعه من عقد أيّ مقارنات خارج ذلك الإطار بمعزل عن علاقات التأثير والتأثر، بدعوة أنّ ليس لتلك المقارنات قيمة معرفية^{١٧}.

وقد غرض هذا الاتجاه أنظاره نحو دراسة ظواهر أدبية متشابهة في آداب قومية مختلفة متباعدة جغرافياً، ولم تقم بينها علاقات تأثير أو تأثر. إنّ تفسير ظواهر التشابه بين الآداب التي ترجع إلى علاقات التأثير أمر سهل، وذلك بمجرد إثبات الوسائط التي تمّ من خلالها ذلك التأثير. ولكن تفسير ظواهر التشابه الملاحظة بين آداب لم تقم بينها علاقات تأثير، أمر صعب، غفل عنه أو أغفل أصحاب هذا الاتجاه.

خدمت دراسات التأثير والتأثر نزعة التباهي والتعالي القومي والإقليمي (الأوروبي)، ونزعة "المركزية الأوروبية (euro-centrism)"¹⁸، فاستعمال هاتين الكلمتين (التأثير والتأثر) يدل على هذه الخدمة. "إن فعل "أثر" يعني لغة، ترك في الآخر أثراً، أي أن المؤثر هو بالضرورة الطرف الفاعل والإيجابي. أمّا التأثير فهو التعرض للتأثير. "تأثر به" يعني لغة "حصل منه على أثر" أو "ظهر فيه الأثر". والتأثر هو الانفعال، أي ردّة فعل على مؤثر خارجي، وهو سلوك سلبي. فالتأثير أمر إيجابي ضمناً، خلافاً للتأثر، فهو أمر سلبي، اعترف المرء بذلك أم لم يعترف... وبذلك يتحول الطرف المؤثر إلى الأصل أو "المنبع" أو "المصدر"، وهو لذلك الطرف الأصيل، خلافاً للطرف المتأثر، فهو التابع المقّد الذي يفنقر إلى الأصالة"^{١٩}.

" وقد تحوّلت دراسات التأثير والتأثر، على حدق ولأحد من تقديها اللامعين، رينيه ويليك Rene Wellek) العملية" مسك الدفاتر "لنشاطات الاستيراد والتصدير التي تتمّ بين الآداب القومية. وبموجب تلك "الدفاتر الثقافية" يمكن معرفة ما صدره أدب قومي معيّن إلى آداب قومية أخرى، وما استورده منها. وبالطبع فإنّ التصدير أفضل من الاستيراد، في الثقافة أيضاً، والطرف المصدّر أو المرسل هو الأفضل والأقوى، وهو صاحب الفضل والأيدي البيضاء على الطرف المستورد المستقبل الآخذ المتأثر"^{٢٠}.

قضية التأثير والتأثير في الأدب المقارن العربي:

وعلى الرغم من اختفاء دراسة التأثير في شكلها التقليدي من مجال الأدب المقارن حتى في الدول الأوروبية، وظهور نظريات واتجاهات حديثة متطورة في الأدب المقارن مثل الاتجاه النقدي والجدلي والتناص، إنّ الدلائل تشير إلى أنّ العالم العربي لم يواكب تلك التطورات، بصورتها الكاملة. إنّ معظم دراسات في الأدب المقارن التطبيقي يندرج تحت باب دراسات التأثير والتأثر. "ولهذه الظاهرة أسباب متعددة، أولها أنّ هذا النوع من الدراسات هو الأسهل منهجياً وتطبيقياً، لا بل، إنه أوضح المناهج المقارنة وأسهلها إطلاقاً. فهو من الناحية التطبيقية عمل توثيقي بالدرجة الأولى، يتمثل في جمع المادة التاريخية التي تدلّ على وجود علاقة

تأثير وتأثر بين أدب قومي ما وأدب قومي آخر أو آداب قومية أخرى. ومن جهة أخرى فإنّ دراسات التأثير يمكن أن توظّف بسهولة في النقاشات والمعارك الأدبية والنقدية الدائرة في الوطن العربي حول قضايا أدبية كقضية الأصالة والتقليد والتبعية والمثاقفة في الأدب العربي الحديث"^{٢١}.

ومن جهة ثانية، فإنّ استبدال دراسات التأثير بنوع آخر من الدراسات المقارنة، نوع يعتمد نظرياً على المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة، كنظرية الأدب الجدلية والنقد الجديد ونظرية التلقي ونظرية التناص.. الخ، ليس بالأمر السهل. فهو يتطلب استيعاب تلك المناهج استيعاباً وافياً من جهة، وتطوير القدرة على استخدامها تطبيقياً في الدراسات الأدبية المقارنة من جهة أخرى^{٢٢}.

وقد لمس بعض الأدباء المقارنين العرب النظريات الجديدة نظرياً لا تطبيقياً. وقد استوعبوا الاتجاهات المقارنة الحديثة المنبثقة عن الفكر النقدي الحديث، فإنه ليس هناك ما يضمن أن تستخدم تلك المناهج تطبيقياً بصورة مناسبة، وألاً يظلّ الالتزام بها نظرياً لا تطبيقياً، بدليل أنّ بعض ممثلي المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن العربي، قد نحوا في دراساتهم التطبيقية منحى دراسات التأثير والتأثر الفرنسية التقليدية. وأفضل مثال على ذلك هو الدكتور حسام الخطيب، الذي روج أفكار المدرسة الأمريكية في العالم العربي، ولكنه نهج نهجاً فرنسياً تقليدياً على الصعيد التطبيقي^{٢٣}.

تتمحور دراسة التأثير والتأثر في الأدب المقارن في العالم العربي على محورين أساسيين، فالمحور الأول يركز على تأثير الأدب العربي في الآداب الشرقية وتأثره بها، وفي مقدمة تلك الآداب الأدبان: الفارسي والتركي. ومن أبرز المواضيع التي تمحورت حولها الدراسات المقارنة موضوع "ليلي والمجنون" في الأدبين العربي والفارسي. أما المحور الثاني فهو يركز على تأثير الأدب العربي بالآداب الأوروبية والغربية. فعلى صعيد تأثير الآداب الأوروبية بالأدب العربي وبالتقافة الإسلامية حظي موضوع المصادر العربية والإسلامية في "الكوميديا الإلهية" لدانتي (dante) باهتمام كبير من جانب المقارنين العرب، وكانت "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري وقصة "الإسراء والمعراج" أهمّ المصادر التي سعى المقارنون العرب لإثبات تأثر دانتي بها^{٢٤}.

ولدراسة تأثير الأدب العربي على الآداب الأوروبية دوافع معرفية وعلمية، وكذا لها دوافع إيديولوجية، وتلك تتمثل في السعي لدحض فكرة التفوق الأدبي والثقافي الأوروبي. وإن هذه الدراسة ردة فعل عربية على المركزية الأوروبية وعلى مساعي الهيمنة الأوروبية الغربية، ومحاولة للمحافظة على الهوية الثقافية العربية المهددة بالتمزق نتيجة ما يمارسه الغرب من توسع وهيمنة ثقافيين^{٢٥}.

قضية التأثير والتأثر في الاتجاه الجدلي (المدرسة السلافية):

الاتجاه الجدلي في مجال الأدب المقارن هو الاتجاه الذي استمد نظرياته وأساسياته من الفلسفة الجدلية لهيجل *egelh*، وهي فلسفة تملك نظرة شمولية إلى الكون والمجتمع والثقافة والأدب. وهي ترى أن التطور التاريخي ليس عشوائياً، بل هناك قوانين وقواعد تتحكم فيه وتوجهه، وعلى رأس تلك القوانين قانون الصراع الطبقي. فالتاريخ من وجهة نظر ماركسية ليس تكراراً للماضي، بل حركة موجهة، حركة تجاوز وانتقال مما هو قائم إلى مرحلة أعلى وأرقى من مراحل التطور الناجم عن قوانين الجدل أو الديالكتيك. وتقول النظرية الماركسية بوجود علاقة جدلية بين القاعدة المادية أو البناء التحتي للمجتمع، وبين البناء الفوقي الذي تشكل الثقافة والأدب أهم مكوناته^{٢٦}. وقد انتقدت الفلسفة الوضعية ورفضتها بشدة، وعدتها اتجاهاً فلسفياً بورجوازيًا.

والمدرسة التي تتابع الفلسفة الجدلية في دراسة المقارنة تعرف بأسماء عديدة، ومنها: المدرسة السلافية (نسبة إلى اللغات السلافونية *isovenia*) والشعوب الناطقة بها في بلدان المعسكر الاشتراكي)، والمدرسة المادية الجدلية (نسبة إلى الفلسفة المادية الجدلية، الفلسفة الوحيدة المعتمدة من المؤسسة السياسية الحاكمة في تلك البلدان). وتوصف هذه المدرسة أيضاً بالماركسية والاشتراكية والسوفيتية، وهذه الأوصاف كلها تدل على النظريات السياسية والاجتماعية التي يتابعها أنصار هذه المدرسة.

الاتجاه الجدلي لا يهتم بدراسة التأثير والتأثر في الأدب المقارن، بل يرى أنّ هناك قوانين تتحكم في حركة الأدب وتاريخه. فكل ما يبرز في أحد الآداب من ظواهر أدبية هامة، كالأجناس الأدبية والاتجاهات الفنية، في وقت مبكر، نتيجة لتقدم المجتمع الذي يحتضن ذلك الأدب، يظهر حتماً في الآداب الأخرى، لا بفعل علاقات التأثير والتأثر فحسب، بل بالدرجة الأولى نتيجة لتوافر الشروط والمقدمات الاجتماعية في المجتمعات التي تحتضن تلك الآداب، وإن يكن بفارق زمني قد يطول أو يقصر^{٢٧}.

لقد ركزت الماركسية باستمرار على الجوانب الإنسانية العامة المشتركة بين الشعوب، وانتقدت النزعات القومية التي تغالي في تقييم دور الخصوصية القومية، واعتبرت تلك النزعات إيديولوجيات مضلّة تخدم مصالح طبقيّة، بورجوازية أو بورجوازية صغيرة، وتثير النزعات القومية بين الشعوب، وتغطي التناقضات الحقيقية في المجتمعات، أي التناقضات الطبقيّة.

من أبرز ممثلي هذا الاتجاه فيكتور جير مونسكي^{٢٨}، وإن لم يظهر هذا الاتجاه في مجال الأدب المقارن إلا بعد سقوط الستالينية، وقد أجرى هذا العالم الروسي دراسات في المقارنة حول "الملاحم البطولية الشعبية" في الثلاثينيات والأربعينيات. فلم ينتهج في أبحاثه منهج دراسات التأثير والتأثر الفرنسية، بل لاحظ وجود

تشابه بين ظواهر أدبية في آداب لا توجد بينها أي علاقات تأثير وتأثر نتيجة للتباعد الجغرافي والحواجر اللغوية والعزلة الثقافية. وهذه التشابهات التي أغفل عنها الاتجاه التاريخي التقليدي بحجة أنه لا يدخل في اهتمامات الأدب المقارن.

هذه التشابهات استوقفت جير مونسكي، فدرسها وحاول أن يجد تفسيراً لها. وقد فشلت دراسة التأثير والتأثير في تقديم أي جواب لهذه الظاهرة، فبحث جير مونسكي عن منهج ينتهج في دراسته عنها، فاتخذ النظرية الماركسية، التي ترى أن هناك علاقة جدلية بين الظواهر الأدبية (البنية الفوقية) وبين البنية الاقتصادية والاجتماعية (البنية التحتية) للمجتمع، أساساً لنظريته الجديدة "نظرية التشابه النمطي" أو "النيولوجي". فوجد جير مونسكي أن المجتمعات التي بلغت بناها الاجتماعية مستويات متشابهة من التطور تتشابه أيضاً في بناها الأدبية، وأما المجتمعات التي تتفاوت درجات تطورها فإن بناها الأدبية تتفاوت أيضاً.

أما دراسة التأثير والتأثر في الأدب المقارن فلم ينكر جير مونسكي دوره، بل وضعها موضعها المستحق. فحينما يعتبرها الاتجاه التاريخي المحور الكل في دراسة الأدب، يعتبرها الاتجاه الجدلي ثانوية لا أساسية. لأن التأثير والتأثر، في رأي جير مونسكي، لا يتم إلا عندما تكون الثقافة المتأثرة بحاجة إلى المؤثرات الأجنبية، ومستعدة لتلقيها. فلو لم تكن الحاجة قائمة في الأدب المتأثر، لما أثمرت عمليات التأثير والتأثر البتة. وقد تمكن جير مونسكي من استيعاب قضية التأثير والتأثر، ومن وضعها في إطار أكبر، هو دور المؤثرات الخارجية في تطور الأدب. فالتأثير دور في ذلك التطور، ولكن ذلك الدور ليس بدائياً ولا أساسياً. أما الدور الأساسي فهو للتطور الداخلي للأدب، ذلك التطور الذي يواكب تطور المجتمع. فعندما يتطور المجتمع، فإن تطوره يخلق الحاجة إلى تطور أدبي يواكبه، كظهور تيار أدبي، وتأخذ بذور هذا التطور بالظهور داخل الأدب. وإذا أضيفت إلى ذلك مؤثرات خارجية، فإنها تسرع ذلك التطور، وتكون كبذرة سقطت في أرض ملائمة خصبة. أما إذا لم يتوافر الشرطان: الاجتماعي والأدبي اللذان يولدان الحاجة إلى المؤثرات الأدبية الخارجية، فإن عمليات التأثير والتأثر لا تجدي نفعاً، وتبقى ظاهرة معزولة لا جذور لها^{٢٩}.

وموقف الباحثان هو أن الأدب المقارن هو النوع الجديد من دراسات الآداب والفنون خارج الحدود الجغرافية واللغوية والسياسية والثقافية. كما انتبه إليه العلماء والنقاد والأدباء في بدايات القرن العشرين. وطبقاً لتطورات الدراسات النظرية والتطبيقية في هذا المجال الجديد، ظهرت فيه نظريات واتجاهات مختلفة. فأولاً اتسم هذا النوع الجديد من دراسة الأدب بالمنهج التاريخي، فاتهم بدراسة الأدب من المنظور التاريخي، ودارت هذه الدراسات في أول الأمر حول الأدب القومي، ودراسة تاريخ علاقة التأثير والتأثر لهذا الأدب القومي المعين في الآداب القومية الأخرى.

الخاتمة:

في نهاية هذه المقالة يتمحور الاتجاه التاريخي حول دراسة التأثير والتأثر وحدها بين الآداب القومية، حينما يلاحظ الباحثان أن الاتجاه الجدلي هناك تشابهات في الظواهر الأدبية في الأمم التي لا توجد أي ملامح لعلاقات التأثير والتأثر بينها نتيجة للحوازر الجغرافية واللغوية والثقافية، فيهتم بدراسة هذه التشابهات بين آداب الأمم المتباعدة.

الدراسات التطبيقية في الأدب المقارن في العالم العربي تجري على المنهج التاريخي رغم ظهور المناهج والاتجاهات النقدية الحديثة وتأثيرها في مناهج دراسات الأدب المقارن. ولكن توجد هنا مساهمات قيمة في دراسات النظريات الجديدة في الأدب المقارن في المنظور النظري لا التطبيقي.

الهوامش:

- ١- الأدب العالمي: هو اصطلاح في مجال الأدب، أتى به أولا الأديب الألماني الكبير وهانف ولفغانغ ونغوته (Johann Wolfgang von Goethe) وهو يرى أن عصر الآداب القومية قذولى، وأن عصر أدب جديذ قد بدأ، ألا وهو عصر "الأدب العالمي".
- ٢- عالمية الأدب ظاهرة أدبية أخرى، ظهرت منا قضة للأدب العالمي. يشرح محمد غنيمي هلال عالمية الأدب " هي خروج الآداب من حدودها القومية طلب الكل ما هو جديذ مفيد تهضم هو تتغذى به واستجابة لضرورة التعاون الفكرى".
- ٣- هلال (١٩٧٨م)، محمد غنيمي، الأدب المقارن، بيروت، دار العودة، ط: ١٣، ص: ٦.
- ٤- نفس المرجع، ص: ١٤.
- ٥- علوش، سعيد (١٩٨٧م)، مدارس الأدب المقارن: دراسة منهجية، المركز الثقافى، ص: ١٢.
- ٦- جيرم ونسكى، فيكتور مكسيم وفيتش، علم الأدب المقارن: شرق وغرب، ص: ٥٠.
- ٧- الفلسفة الوضعية: هي فلسفة ترى أن المعرفة الصحيحة هي التي تستند إلى قاعدة تجريبية أو إمبريقية قابلة للمراجع بصورة عبر ذاتية.
- ٨- النقد الجديذ، نظرية جديذة في النقد الأدبى، أتى بها رينيه ويليك في محاضرة تاريخية باسم " أزمة الأدب المقارن " في عام ١٩٥٨م في المؤتمر الثانى للرابطة الدولية للأدب المقارن.
- ٩- نفس المرجع، ص: ٩٣.
- ١٠- عبوذ، عبذه (١٩٩٩م) الأدب المقارن: مشكلات وآفاق، دمشق، اتحاد كتاب العرب، ص: ٤٥.
- ١١- نفس المرجع، ص: ٣٨.
- ١٢- عبوذ (١٩٩٩م)، ص: ٣٨.
- ١٣- نفس المرجع، ص: ٦٤.
- ١٤- علوش (١٩٧٨م)، ص: ٥٥.
- ١٥- عبوذ (١٩٩٩م)، ص: ٢٦.
- ١٦- نفس المرجع، ص: ٢٧.
- ١٧- نفس المرجع، ص: ٢٨.
- ١٨- هي نزعة متعالية توسعية، شكّلت مكوناً هاماً من مكوّنات العقلية الاستعمارية الأوروبية،

وما زالت إلى اليوم تخدم مساعي الهيمنة الثقافية الأوروبية.

- ١٩- عبود (١٩٩٩م)، ص: ٢٩.
- ٢٠- نفس المرجع، ص: ٣٠.
- ٢١- نفس المرجع، ص: ٣٣.
- ٢٢- نفس المرجع، ص: ٣٣-٣٤.
- ٢٣- الخطيب، حسام (١٩٩٢م)، آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً دمشق، دار الفكر، ص: ٣٣-٣٥.
- ٢٤- عبود (١٩٩٩م)، ص: ٣٥.
- ٢٥- نفس المرجع، ص: ٣٥-٣٦.
- ٢٦- نفس المرجع، ص: ٣٨.
- ٢٧- نفس المرجع، ص: ٣٩.
- ٢٨- فيكتور جيرم ونسكي، هو أديب وناقد، ومؤرخ ولغوي روسي، ولد عام ١٨٩١م في سننيتير سبرج، وتوفي فيها عام ١٩٧١م، وهو الذي طوّر نظرية النمطية المشابهة في دراسة المجتمع، وطبقها في دراسة الأدب والفن للأمم المختلفة.
- ٢٩- المرجع نفسه، ص: ٤٤.

المراجع:

- جيرم ونسكي، فيكتور مكسيم وفيتش (٢٠٠٤م) علم الأدب المقارن -شرق وغرب، ترجمة وتقديم د. غسان مرتضى، ط١، حمص.
- الخطيب، حسام (١٩٩٢م) آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً، دار الفكر، دمشق.
- السيد، غسان (١٩٩٧م) الأدب العام والمقارن، اتحاد الكتب العربي، بيروت.
- عبود، عبده (١٩٩٩م) الأدب المقارن: مشكلات وآفاق، اتحاد كتاب العرب، دمشق.
- علوش، سعيد (١٩٨٧م) مدارس الأدب المقارن: دراسة منهجية، المركز الثقافي، القاهرة.
- نداء، الدكتور طه (١٩٩١م) الأدب المقارن، دار النهضة العربية: بيروت.
- هلال، محمد غنيمي (١٩٧٨م) الأدب المقارن، دار العودة، ط: ١٣، بيروت.

- هلال، محمد غنيمي (١٩٨٧م) دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، نهضة مصر للطباعة والنشر: القاهرة.

- http://en.wikipedia.org/wiki/Comparative_literature